

أحمد شوقي بنبين

دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي

1993



الكتاب : **دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي** (دراسة)
المؤلف : أحمد شوقي بنبين
منشورات : كلية الآداب بالرباط
الخطوط : محمد المعلمين
التصفيف الضوئي : أنسيف الزنايدي ـ الهاتف : 72.70.66 ـ الرباط.
الطبع : مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء

ردمك : 9981-825-10-7
رقم التصنيف الدولي : ISSN 1113-0369
رقم الإيداع القانوني : 1993/801
الطبعة الأولى 1993.



التعقيبة في المخطوط العربي

إن دراسة المخطوط العربي دراسة مخطوطية كوديكولوجية لا تزال في بداياتها الأولى، على الرغم من المجهودات التي يقوم بها بعض الأفراد والجماعات في مختلف المراكز العلمية الأوربية. فإذا كان القدماء يشيرون عرضا في تصانيفهم ومصادرهم إلى بعض عناصر علم المخطوطات العربي فإن المحدثين لم يستطيعوا حتى الآن ملأ هذا الفراغ إذ لم يدرسوا المخطوط العربي باعتباره قطعة مادية تمكن الباحثين في مجال الفيلولوجيا من الكشف عن عدد من القضايا الفكرية والحضارية والتاريخية والاقتصادية قد لا يمكن اكتشافها أو استنباطها إذ اقتصر البحث على تناول متون هذه المخطوطات دون أوعيتها المتكونة من أسفار الورق وغيره. أما المخطوط الغربي فلقد خطا خطوات كبيرة في هذا المجال مما جعل الاقتداء بعلماء الغرب والاستفادة من تجاربهم في علم المخطوطات ضربة لازب بالنسبة للباحثين من العرب والمستشرقين المهتمين بهذا العلم على قلتهم. ومن موضوعات هذا العلم التي لم تدرس حتى الآن دراسة مخطوطية بل ما زالت حقلا بكرا في التراث العربي، قضية وقف الكتب[1] ودوره في تأريخ المخطوط غير المؤرخ، ومسألة الرموز والاختصارات[2] في المصنفات القديمة وعلى الأخص منها كتب الحديث، ومسألة الكراس أو الكراسة[3] وتقنية التعقيبة التي هي موضوع هذا البحث.

(1) انظر بحثنا عن ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية بـ**مجلة مجمع اللغة العربية** بدمشق، العدد 63، سنة 1988.

(2) على الرغم مما قام به القدماء، أمثال العراقي والنواوي وعياض وابن الصلاح وابن جماعة والعلموي والخطيب البغدادي صاحب كتاب **الجامع لأخلاق الراوي والسامع** الذي لم يصل إلينا، فإن هذه المسألة لا تزال بحاجة إلى معالجة المحدثين لها معالجة مخطوطية.

(3) الكراسة في معظم المخطوطات هي عشر ورقات وقد تكون ثمانيَ كما قد تكون إحدى عشرة ورقة فهل يرجع هذا الاختلاف إلى تعدد مراكز النساخة أو إلى أسباب أخرى لم يتم الكشف عنها حتى الآن؟

التعقيبة[4] عبارة عن نوع من الترقيم استعمله القدماء لترتيب المؤلفات من جهة، ولمساعدة المختصين في صناعة المخطوط، كالمُرَقِّمين والمسفرين وسواهم، في ترتيب ملازم المخطوط من جهة أخرى، ولم يكن المخطوط العربي ليختص وحده بهذه الخاصية بل إننا نجدها في معظم مخطوطات اللغات الأخرى من سامية وهندية أوربية قديمة أو وسيطية، فمتى ظهرت التعقيبة كلون من ألوان الترقيم في المخطوط بوجه عام ؟ ومن كان أسبق إلى الاهتداء إلى استعمالها في المخطوطات ؟ وهل كان هناك تأثير وتأثر بين مجموعات النساخ في مختلف البقاع والعصور فيما يخص استعمال هذه التقنية ؟

يبدو من خلال الأبحاث الكوديكولوجية الخاصة بهذه الظاهرة[5] أن التعقيبة كانت معروفة في اللغات السامية وفي بعض اللغات الهندية الأوربية في العصر القديم واختفت في القرون المسيحية الأولى وطوال العصر الوسيط لتعود إلى الظهور خلال النهضة الأوربية الأولى في القرن الثاني عشر الميلادي ثم إلى الانتشار في مختلف اللغات الغربية قبيل عصر النهضة الحديثة. وفي اللوحات[6] الطينية المكتشفة في مكتبة آشور بانبال في مدينة نينوي القديمة بالعراق والتي ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، اعتاد النساخ أن يعيدوا كتابة آخر سطر[7] من اللوحة السابقة في اللوحة التي تليها وذلك ليتمكن القارىء من قراءة متتابعة، ولم تكن هذه الظاهرة لتقتصر على اللوحات المنسوخة في عهد آشور بانبال فقط[8] بل تم العثور على لوحات أخرى في نفس المكتبة نسخت في عهود سابقة تحمل هذا اللون من التعقيبة، وتؤكد مكتشفات

---

(4) يقال لها الرقاص أو الوصلة في الجامعات المغربية العتيقة كالقرويين وابن يوسف.

(5) خاصة البحث الذي قام به الأستاذ «فيزان» حول التعقيبة في موضوع: «بعض الملاحظات حول ظاهرة التعقيبة» (بالفرنسية).

(6) معظم هذه اللوحات محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني بلندن. إن الملك الذي جلس على عرش آشور بين 668 و626 ق م قد جمع في قصره مكتبة كانت تضم وثائق جد مهمة تتعلق بملكه وملك من سبقه من الملوك كما كانت تضم نسخا من أهم النصوص المتعلقة بآداب البابليين القديمة.

(7) أطلق كل من الألمان والانجليز على هذا اللون من التعقيبة كلمتي Frangzeil وCatchline ولم يقتصر الآشوريون على استعمال التعقيبة في ترقيم اللوحات واللفائق فقط بل استعملوا الترقيم بالأرقام كذلك.

(8) ربما استعمل الحِثِّيون هذه الظاهرة قبل الآشوريين. فقد تبين بعد اكتشاف المكتبة الرسمية الحثِّية بعاصمتهم (حتوساس Hattusas) أنه إذا كان النص في أحد الرقم (كتب أولوحات) يكتمل في رقم آخر فإن الرقم في هذه الحالة كانت ترقم، وكان النص في كل رقم آخر يبدأ بالجملة الأخيرة الواردة في الرقم السابق. انظر «**تاريخ الكتاب**» تأليف : د ألكسندر ستيبتشفيتشن ترجمة محمد الأرناؤوط : القسم الأول، ص. 24، عالم المعرفة 1993.

أوكريتْ(9) استعمال هذه الظاهرة في اللغات السامية الأخرى حيث إن اللغة الأوكَاريتية تستعمل نوعا من التعقيبة لا يختلف كثيرا عن نلكم التي يستعملها أهل بابل وآشور. ومما يدل على انتشار استعمال هذه التقنية في مخطوطات اللغات القديمة تلكم الوثائق التي اكتشفت في هيكل «بعل» بمدينة نفر(10) بالعراق حيث ظهرت عليها تعقيبات على غرار التعقيبات السالفة الذكر.

وقد لاحظ المختصون في علم المخطوطات الإغريقي أن النساخ اليونانيين في العصر القديم استعملوا تقنية مشابهة لتقنية الآشوريين لترتيب لفافات البردية الواحدة(11). إن المتتبع لهذه الظاهرة في المخطوطات القديمة يلاحظ أن اسنعمالها ينتهي بانتهاء العصر القديم(12) حيث إنها تختفي في العصر الوسيط ولم تعد إلى الظهور في مخطوطات الغرب إلا في القرون القليلة التي سبقت عصر النهضة الحديثة(13). يلاحظ المختصون في الكوديكولوجيا الإغريقية مثلا أن المخطوطات اليونانية الوسيطية كانت مرقمة ولم تعد إلى نظام التعقيبة إلا في عصر النهضة، باستثناء الحالات الشاذة التي ترجع إلى ما قبل هذا العصر بقليل، ويؤكد المختصون أن العودة إلى هذا النظام كان نتيجة الاحتكاك الذي تم بين اليونان والثقافة اللاتينية بحيث كان النساخ اللاتينيون، في بداية العصر الوسيط، يرقمون الملازم لترتيب المخطوطات برقم في ظهر آخر ورقة الملزمة أو في وجه أول ورقة منها. وفي أواسط هذا العصر أصبح يلاحظ في المخطوطات اللاتينية استعمال الحروف محل الأرقام ويسمى هذا الاستعمال بوضع العلامة. وبعد القرن العاشر الميلادي حيث بدأت أوربا تستيقظ من سباتها وتحتك بمختلف الحضارات والثقافات كالثقافة العربية مثلا، أصبح يلاحظ في مخطوطاتها استعمال

---

(9) نسبة إلى (أوكريت) وهي أطلال مدينة اكتشفت في رأس الشمرة بالجنوب الغربي لمدينة حلب بسوريا عام 1930. يبدو أنها كانت مزدهرة في الألف الثاني ق م. والمكتشفات عبارة عن لوحات طينية مكتوبة بالكتابة المسمارية باستثناء بعض الوثائق القليلة. ومعظم نصوصها مكتوب في لغة سامية يعتقد البعض أنها إحدى اللهجات الكنعانية القديمة بينما يعتبرها البعض الآخر لغة سامية غربية إلى جانب الكنعانية والآرامية.

(10) نفر هي مدينة نيبور (Nippour) عاصمة السومريين الدينية في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، وكتابة اللوحات المكتشفة كتابة مسمارية.

(11) اكتشفت بعض البرديات تحمل قسما من إلياذة هوميروس فيها شيء يشبه التعقيبة.

(12) استمر استعمال التعقيبة عند البابليين والفرس إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد، ومع بداية العصر الوسيط يلاحظ فقط استعمال العلامة وهي الترقيم بالحروف لترتيب الملازم.

(13) انظر فيزان (Vezin) : بعض الملاحظات حول ظاهرة التعقيبة.

التعقيبة وهي كتابة كلمة أو كلمتين من الملزمة التالية على ظهر آخر ورقة من الملزمة السابقة. فما هو إذن السبب الذي دفع النساخ اللاتينيين إلى الانتقال من الترقيم بالأرقام ثم بالحروف إلى الترقيم بالتعقيبة ؟ هل كان ذلك بمحض الصدفة أم حدث تأثر وتأثير بين هذه الشعوب ذات اللغة اللاتينية أو اللغات المتفرعة عنها وبين أجناس أخرى كانت تستعمل هذه التقنية ؟ إن الكوديكولوجيين الغربيين لم يدركوا العوامل التي دعت إلى التحول من نظام الترقيم والعلامة إلى نظام التعقيبة، على كلّ حال إن الشعوب الغربية أصبحت تستعمل هذه التقنية في مخطوطاتها في القرون الأخيرة من العصر الوسيط على غرار الشعوب السامية، فإذا تم هذا عن طريق الصدفة فإنه يعتبر شيئا ممكنا عند علماء الانتروبولوجيا الذين يعتبرون أن تشابه التقنيات لا يعني بالضرورة وجود علاقة بين المجموعات التي اهتدت إلى استعمالها، فالطباعة بحروف متحركة[14] مثلا هي تقنية قد ظهرت عند شعبين مختلفين هما الصين وكوريا من جهة وأوربا من جهة ثانية، ولم يعْثر الباحثون على أية دلائل تثبت وجود علاقة ما بين هذه الشعوب التي اهتدت بمحض الصدفة إلى هذه الظاهرة.

أما إذا كان اهتداء هذه الشعوب إلى استعمال هذه التقنية في المخطوطات الغربية ناتجا عن التأثر والتأثير، فما هي أقدم المخطوطات التي تحمل التعقيبة في مختلف اللغات الأوربية في آخر عصور العصر الوسيط ؟ بعبارة أخرى ما هي اللغة التي سبقت إلى استعمال هذه التقنية ثم تكون قد أثرت في اللغات الأخرى ؟ يجمع الباحثون على أن استعمال نظام التعقيبة في العالم اللاتيني بدأ منذ القرن الحادي عشر الميلادي ـ وما كان قبل ذلك يعتبر شاذا ـ وكاد يكون عاما في نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر حيث ظهرت الجامعة لأول مرة في البلاد الغربية، يقول دستري[15] : إن التعقيبة ظهرت مع بداية جامعة باريز خصوصا فيما كان يسمى

(14) في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريز اكتشف في السبعينات من هذا القرن كتاب مطبوع في مطبعة القصر الملكي بكوريا بطريقة حديثة عام 1379 م. وقد صنف خطأ مع المخطوطات وربما يرجع السبب في ذلك إلى شدة التشابه الموجود بين المخطوطات والمطبوعات الاستهلالية (Incunables).

(15) انظر أ. دستري : **التنسيخ الجماعي في المخطوطات الجامعية في القرن الثالث والرابع عشر الميلادي**، باريز، 1935.

Destrez: **La Pecia dans les manuscrits universitaires dans les XIII et XIV siècles**, Paris, 1935.

بالمخطوطات الجامعية[16]. وتثبت الأبحاث الكوديكولوجية الأخيرة أن أولى الدول الغربية التي استعملت مبكرا التعقيبة في ترتيب المخطوطات هي إسبانيا وإيطاليا، ومنهما انتقلت هذه التقنية إلى باقي اللغات الغربية[17]. يلاحظ في فرنسا أن أقدم المخطوطات الفرنسية التي استعمل فيها نظام التعقيبة تلكم التي نسخت في الجنوب الغربي الذي عرف نشاطا ثقافيا كبيرا واتصالا علميا مهما مع مملكات الإسبان المسيحية في القرن الحادي عشر الميلادي، ومن المحتمل أن يكون قد تمخض هذا التلاحم بين الجانبين عن تأثر الفرنسيين بطرق النساخة الإسبانية، ولاشك أن هذه الطرق تحمل من بين ما تحمل نظام التعقيبة، والسؤال المطروح الآن هو التالي : كيف اهتدت كل من إسبانيا وإيطاليا إلى نظام التعقيبة في المخطوطات في فترة مبكرة ؟ هل أثر أحدهما في الآخر أم أخذ الطرفان معا من منبع ومصدر واحد[18] ؟. احتمال ظاهرة التأثير والتأثر احتمال غير مستبعد ولكن ليس هناك ما يثبت وجود علاقة ثقافية ما بينهما بخصوص الموضوع الذي يهمنا على الرغم من كون اللغة الإسبانية واللغة الإيطالية لغتين لاتينيتين، يحتمل إذن أن يكون البلدان قد نهلا من مصدر واحد، فما هو المصدر الذي من المحتمل أن يكون قد أثر في البلدين معا من حيث طرق نساخة المخطوطات ؟

إن نظام التعقيبة الذي اختفى في مخطوطات اللغات الغربية في القرون الأولى من العصر الوسيط قد ظل معمولا به في بعض اللغات السامية وعلى الأخص منها اللغة العربية، وإذا بحثنا في العلاقات بين كل من إسبانيا وإيطاليا وبين إحدى الشعوب السامية في هذه الفترات نجد أن للدولتين الأوربيتين معا علاقات اجتماعية وثقافية مع العرب منذ أواخر القرن الأول الهجري بالنسبة لإسبانيا ومنذ القرن الهجري الثاني بالنسبة لإيطاليا خاصة صقلية، إنه لا يخفى على أحد ذلكم التلاحم والتمازج اللذان سادا هذه الشعوب عدة قرون، وذلكم النشاط الثقافي الكبير الذي اتسم به العقل العربي في كل من صقلية ومدن إسبانيا المسلمة، خاصة في ميدان الترجمة التي

(16) المخطوطات الجامعية هي تلكم المؤلفات التي تحتوي على إحدى المواد الأربعة الأساسية المدرسة في جامعة باريز آنذاك وهي الفنون الحرة، اللاّهوت، القانون والطب.

(17) يثبت أحد الفيلولوجيين المحدثين بيشوف (Bischoff) أن استعمال التعقيبة انتقل إلى ألمانيا عن طريق إيطاليا في القرن الثاني عشر.

(18) بعض المخطوطات اللاتينية المنسوخة في إسبانيا في القرن العاشر والمحفوظة في الخزانة الوطنية بباريز بقسم المخطوطات الغربية تؤكد على أن التعقيبة كانت مستعملة في إسبانيا منذ القرن العاشر.

لعبت دورا أساسيا وفعالا في تطوير الحضارة الغربية، ومن المحتمل جدا إذن أن تكون طرق نساخة المخطوطات العربية بما في ذلك نظام التعقيبة قد دخلت ميدان النساخة في البلدين المذكورين باعتبار العلاقات المتينة التي كانت تربط بينهما وبين العرب.

انطلاقا من اعتقادنا بصحة هذا الاحتمال انبرينا للبحث في استعمال هذه التقنية في النساخة العربية وذلك بدراسة أقدم ما بقي من مخطوطاتنا المحفوظة في مختلف الخزانات العالمية. يعتقد المختصون في هذا المجال أن التعقيبة لم تظهر في المخطوط العربي إلا بعد القرن الرابع الهجري وأن النساخ العرب المسلمين لم يستعملوا أية وسائل أخرى لترقيم المخطوط[19]، فكيف يقبل عاقل هذا الرأي ؟ أيعقل أن ينسخ مخطوط بدون اللجوء إلى وسيلة من الوسائل لترتيب أوراقه تيسيرا على قارئه أو دارسه ؟ إن البحث عن المخطوطات القديمة ودراستها دراسة كوديكولوجية حديثة لمن شأنه أن يثبت عكس ما قاله بعض المختصين في شأن التعقيبة وترقيم المخطوطات بوجه عام. وقبل القيام بهذا العمَل العلمي الذي يفتقر حتى الآن إلى وسائل مادية وكفاءات بشرية في العالم العربي، نكتفي بالإشارة إلى مجموعة من المخطوطات القديمة ظهرت فيها التعقيبة قبل القرن الخامس بكثير. وقد فحصنا بعضها وثبت لدينا حسب تجربتنا المتواضعة أن التعقيبة أصيلة في المخطوط ولم تكن من إضافة ناسخ آخر كما قد يكون محتملا بالنسبة لمخطوطات أخرى.

لقد وصل إلى علمنا أن الخزانة الظاهرية بدمشق تحتفظ بنسخة من ديوان الفرزدق بها تعقيبة وقد نسخت عام 331 هـ أي في القرن الرابع الهجري، وتضم الخزانة الوطنية الفرنسية بباريز نسخة من كتاب **المدخل الكبير في علم أحكام النجوم** لأبي معشر البلخي نسخها على المطرز عام 325هـ وقد استعمل نظام التعقيبة لترتيب الكتاب[20]. وتحتفظ خزانة جستر بيتي (دبلن، إيرلندة) بمخطوط بخط ابن البواب يحمل تعقيبة، وقد نسخه عام 391 للهجرة[21]. إذا كانت هذه

(19) يقول الحلوجي : «ولم تكن أوراق المخطوط العربي في أول عهدها تخضع لأي نوع من الترقيم...» إلى أن قال : «ويبدو أن تلك التعقيبات لم تظهر إلا بعد القرن الرابع الهجري لأننا لا نجد لها أثرا في أي مخطوط من مخطوطات القرنين الثالث والرابع التي تحت أيدينا بما في ذلك المصاحف، ومن يدري؟ فلعل المستقبل يأتينا بجديد في هذا الموضوع» انظر: **المخطوط العربي**، ص 167، الطبعة الثانية.

(20) محفوظ بقسم المخطوطات الشرقية بالخزانة الوطنية الفرنسية بباريز تحت رقم 5902 Fol IV.

(21) انظر فهرست هذه الخزانة الذي وضعه المستشرق الأنجليزي آربري.
ARBERRY (A); The chester Beatty library, Dublin, 1955-64.

النماذج ترجع كلها إلى القرن الرابع الهجري فإن بعض ما بقي من مخطوطات القرن الثالث يحمل التعقيبة كذلك، ككتاب تاريخ ملوك العرب لعبد المالك الأصمعي الذي نسخه ابن السكيت بخط يمينه في العاشر من شهر شوال عام 243 هـ[22]، وقد بدا لنا بعد الفحص الشديد أن اليد التي نسخت الكتاب هي التي وضعت التعقيبة بحيث يلاحظ تشابه تام بين الحروف. وقد يدل هذا على استعمال هذا النظام منذ البدايات الأولى للتأليف العربي، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا ينبغي اعتبار هذه التقنية ظاهرة عامة في المخطوط العربي بحيث إن مجموعات أخرى من مخطوطات القرنين الثالث والرابع لا تحتوي على تعقيبة[23]، وقد يرجع السبب في ذلك إلى عدم استعمالها في جميع مراكز التنسيخ الشرقية أو لأنها ضاعت أثناء ترميم المخطوطات وتسفيرها في فترات متعاقبة من التاريخ حيث كان مقص المسفر لا يعرف إلى الرحمة من سبيل، ولا يعتبر هذا غريبا إذا تتبعنا دراسة هذه التقنية في المخطوطات العربية التي نسخت بعد القرن الخامس الهجري.

إن الوقوف على مجموعات خطية ترجع إلى القرنين الخامس والسادس الهجريين يؤكد ما قلناه بالنسبة لمخطوطات الفترات السابقة. بعضها يحمل تعقيبة بدون ترقيم، وبعض آخر يحمل التعقيبة في بعض الأوراق أو في جزء من أجزاء المخطوط، وصنف ثالث يستعمل التعقيبة حسب الكراريس بحيث لا تظهر التعقيبة إلا بعد إحصاء عشر ورقات، وقد تظهر أحيانا فقط في ثلاث أو أربع ورقات في المخطوط كله، وقد لا نجد لها أثرا في كثير من مخطوطات هذا العهد. وقد تكون عبارة عن حرف أو كلمة أو كلمتين أو عبارة، وقد تكون حرفا في الجزء الأول من المخطوط وكلمة في الجزء الآخر. ومن حيث شكل كتابتها فإنها تكون على العموم أفقية أو مائلة في أسفل الجهة اليسرى من الورقة أو في وسطها، وقد تجيء أحيانا عمودية[24] كما جاء في

(22) محفوظة بالخزانة الوطنية الفرنسية تحت رقم 6726 Fol 2 V يظهر وبس [illegible] ،هلة أن التعقيبة من نفس مداد وخط المخطوط.

(23) انظر كوركيس عواد : أ[illegible]م المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة 500 هـ، العراق 1982. وقد أحصى فيه المؤلف 717 مخطوطا، غير أنه لم يقف على كل ما بقي من مخطوطات هذه الفترة كغريب الحد[illegible]ث لأبي عبيد القاسم بن سلام المحفوظ بخزانة جامعة ليدن بهولندة والذي نسخ حسب الكولوفون (Colophon) في شهر ذي القعدة من عام 252 هـ الموافق لشهر دجنبر عام 866 م. وهو بهذا التاريخ يعتبر أقدم مخطوط عربي مكتوب على الورق معروف حتى الآن، ولا يحمل تعقيبة.

(24) أخبرني بعض العبرانيين العاملين بالمركز الوطني للبحث العلمي بباريز أن التعقيبات العمودية قد ظهرت في المخطوط العبري منذ القرن الرابع عشر الميلادي، خاصة عند النساخ الاشكيناز.

كتاب **شرح الألفات** لأبي بشار الأنباري وكتاب **شرح منازل السائرين** للكاشاني المحفوظ كلاهما بمكتبة برلين الوطنية بألمانيا[25].

إن الملاحظات التي نبديها بالنسبة لمخطوطات الفترة السالفة الذكر قد نعثر عَليها في مخطوطات العصور الإسلامية المتأخرة. فما هي إذن الأسباب التي يمكن أن تكون وراء هذه الاستعمالات المختلفة لهذا العنصر الصغير من عناصر صناعة المخطوط في المخطوطات العربية منذ بداية التأليف إلى عصر الطباعة ؟[26] إن المخطوطات التي ينعدم فيها الترقيم سواء بالتعقيبة أو بالأرقام أو بالعلامة أو تلكم التي ترقم بواسطة التعقيبة ولم يبق منها إلا الحرف الأول من الكلمة، هي مخطوطات أعيد تجليدها وترميمها عبر القرون في غالب الظن، فلا يمكن أن ينسخ مخطوط ويجلد دون أن يلتجيء الناسخ أو الصانع إلى نوع من أنواع الترقيم المذكورة ليمكن تتبع قراءة الكتاب، كما لا يعقل أن تظهر التعقيبة كاملة في بعض الأوراق ولا يظهر منها إلا الحرف الأول في بعضها الآخر، أما فيما يخص المخطوطات المرقمة بالتعقيبة في أشكال مختلفة فإن ذلك يرجع إلى اختلاف مراكز النسخ التي تمت فيها نساخة هذه المخطوطات على الرغم من تزامن النسخ، ولا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات بصفة نهائية إلا بالوقوف على مجموعات خطية متزامنة نسخت كل مجموعة منها في مركز معين. فتحديد الزمان والمكان هو الشرط الذي يمكننا من دراسة الاستعمالات المختلفة لهذه التقنية، ولن يتأتى هذا بمجرد دراسة رصيد مكتبة واحدة أو مكتبتين لأن أرصدة مختلف المكتبات من المخطوطات العربية تتكون من مجموعات ذات مصادر مختلفة متعددة. وبالإضافة إلى ذلك فإن العديد منها يفتقر إلى ذكر مكان النسخ، كما يحدث غالبا بالنسبة لاسم الناسخ وتاريخ النسخ، إن تحديد أنماط التعقيبة في المخطوط العربي يدعو إلى وضع نوع من الفهارس أو الكشافات يسمى فهرس أو كشاف المخطوطات المنسوخة في المكان الواحد كما يصنع الآن في مختلف المكتبات والمراكز العِلْمِيَّة بالنسبة للمخطوطات المؤرخة التي وضعت لها فهارس خاصة. إن هذه الكشافات هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الكوديكولوجي أو المختص في علم

(25) وقفنا على المخطوطين معا في هذه الخزانة العظيمة. انظر فهرستها الذي صنفه المستشرق الألماني الورد (Alward) عام 1987/99 في عشرة مجلدات تضم آلاف المخطوطات العربية.

(26) نلاحظ استعمال التعقيبة في المطبوعات الحجرية الأولى، وقد استعملها الغربيون في المطبوعات منذ القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر الميلادي، وبعد هذه الفترة حلت محلها العلامة (signature) أي رقم أو حرف في أسفل الورقة أو الملزمة.

المخطوطات من دراسة هذه التقنية وأنواع استعمالاتها في المخطوط العربي، وبدونها قد يتعذر البحث في هذا المجال، وما وقفنا عليه من مخطوطات عربية في مختلف الخزانات الدولية لا يكفي لاستخلاص نتائج نهائية تتعلق بنظام التعقيبة، وإن احتمال ظهورها في المخطوطات العربية قبل غيرها من مخطوطات اللغات الغربية في القرون الأخيرة من العصر الوسيط يستوجب المزيد من البحث في المخطوطات العربية وفي مخطوطات إيطاليا وإسبانيا خاصة تلكم التي نسخت في شمال البلاد منذ القرن الرابع الهجري، إذ أن هذه المخطوطات تعتبر الجسور الثقافية التي أوصلت الثقافة إلى الغرب وإن دراستها تدعو إلى الإلمام بالباليوغرافيا خاصة الباليوغرافيا اللاتينية التي كتبت بها لغات الثقافة في أوربا في العصر الوسيط. وهذا النوع من البحث المقارن ظل حتى الآن عبارة عن محاولات فردية، ولن يصل إلى النتائج المتوخاة إلا في إطار مؤسسات دولية على أن تقوم به جماعات من الباحثين يعرفون لغات الغرب القديمة، وبما أن هذا النوع من المؤسسات غير موجود وأن الملمين باللغة اللاتينية من العرب المختصين في علم المخطوطات قليلون فإن دراسة التعقيبة تكاد تكون دراسة متعذرة في الوقت الراهن، فليكن إذن هذا البحث المتواضع نداء إلى المختصين في هذا المجال لينهضوا بمثل هذه الأبحاث التي قطعت أشواطا مهمة في الدراسات الكوديكولوجية الغربية.